الباب الرابع

دور المدارس الدينية في الدعوة الإسلامية

٤،١- التعريف الصحيح لمفهوم الدعوة الإسلامية

٤،٢- توضيح أهمية الدعوة وأهدافها

٤،٣- الحفاظ على الهوية الإسلامية والاعتزاز بالانتماء إليها

٤.٤- السلوك والأخلاق

٤،٥- ثقافة الداعية

٤،٦- مناهج الدعوة في المنطقة

Prince of Songkla University Pattani Campus

الباب الرابـــع
دور المدارس الدِّينية في الدعوة الإسلامية

المدرسة هي المنطلق الأول لبشائر الطلائع الإسلامية التي تتحرك نحو مُستَقْبَل بَاسِم وغَد مَجِيْد، تبني للإسلام صرحاً عريضاً شامخاً يحقق الآمال المرجوة منه، والأماني المعقودة عليه؛ لهذا يجب أن تتوافر الجهود في المدرسة للمدرسين والدعاة، في تكوين جيل قرآني فريد، وفتية صادقي الإيمان والعزيمة، وهذا الجيل وهؤلاء الفتية هم عُدَّةُ الغَد وهم جُنْدُ الحَقّ ورِجَالُ الصِّدْق الذين لا تلهيهم الدنيا، أو تلفتهم الشهوات عن تأدية رسالتهم العظيمة، رسالة الإسلام، (توفيق الواعي، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص٣٩٥).

وفي ناحية أخرى حذر الدكتور توفيق على أن الأمة التي لا تتدارك شبابها في سن مبكر، تقيم عوجه وترفع هامته وتحصن سلوكه، لا تلبس أن تحصد الشوك وتجني الحنظل جزاء خمولها وكسلها ونومها الطويل وإهمالها الماحق، وأما الأمة التي ترعى فتيانها وتربي نشأها فهي التي تجني الثمار الطيبة وتقطف الأزاهير العبقة، وليس أفضل في تربية النشىء من رسالة الإسلام وهداية القرآن، وصدق رَسُول الله ﷺ إذ يقول: "ما نحل والدٌ ولداً من نحلٍ أفضل من أدب حسن" (التِّرْمِذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٣٣٨/٤). وقال ﷺ "أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم" وأفضل شيء يكون مادة لتلك التربية هي كتاب الله تبـارك وتعَـالى لعقيدة دافعة عاصمة ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى﴾ [سُورَةُ الكَهْفِ: الآيَةُ ١٣]، ولنفس سليمة صحية: ﴿يَـٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [سُـــورَة لُقْـــمَان: الآيَةُ ١٧]، ولسلوك عظيم قَيِّم ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَـٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝

Prince of Songkla University Pattani Campus

فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۞ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۞ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [سُورَةُ المُؤمِنُون: الآيَةُ ١-١١]، (توفيق الواعي، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص٣٩٦).

١،٤- التعريف الصحيح لمفهوم الدعوة الإسلامية

أصل كلمة الدعوة من الدُّعاءُ وهي الرَّغْبَةُ إلى الله تعالى. دَعا دُعاءً ودَعْوَى. والدَّعَّاءَةُ: السَّبَّابَةُ. وتَداعَوْا عليه: تَجَمَّعُوا. ودَعاهُ: ساقَهُ. والنبيُّ ﷺ داعي الله، ويُطْلَقُ على المُؤذِّن. ودَعاهُ الله بمَكْرُوه: أنْزَلَهُ بِه. ودَعَوْتَهُ زَيْداً، وبزَيْد: سَمَّيْتُهُ به، والاسمُ الدَّعوَةُ، والدَّعْوَةُ: الحَلفُ. والدُّعاءُ إلى الطَّعامِ، ويُضَمُّ. وانْدَعَى: أجابَ (الطاهر الزاوي، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م: ١٨٧/٢ -١٨٨).

ومعنى الدعوة: هي

١- النداء، يقال دعا فلان فلانا، إذا ناداه، ودعوت الرجل إذا صحت به واستدعيته.

٢- الدعاء إلى الشيء بمعنى الحث على قصده.

٣-الدعوة إلى قضية يراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقاً أو باطلاً، فمن الباطل: حكاية القرآن عن يوسف عليه السلام في قوله ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ﴾ [سُورَةُ يُوسُفَ: الآيَةُ ٣٣] أي من طاعة النسوة والوقوع في الإثم، كما ورد في قول الرسول ﷺ للأوس والخزرج حين اصطفوا للقتال " أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم" ومن الحق قوله تعالى ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ: الآيَةُ ١٤] وقوله تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

Prince of Songkla University Pattani Campus

[سُورَةُ يُونسَ: الآيَةُ ٢٥]، وفي كتابه ﷺ إلى هرقل "أدعوك بدعاية الإسلام" أي بدعوته، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١/٩)، وهي كلمة الشهادة وإتباع منهج الله.

٤-المحاولة القولية أوالفعلية والعملية، لإمالة الناس إلى مذهب أو نحلة.

٥-الابتهال والسؤال: جاء في المصباح المنير، دعوت الله أدعوه، وأدعوه دعاء، أي أبتهل إليه بالسؤال، وأرغب فيما عنده من الخير، (توفيق الواعي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص١٥-١٦).

وأما الداعي: هو ذو الأهلية في العِلْم والدين، يدعو إلى الحق، ويجمع الشمل، ويرأب الصدع، ويتعهد المسيرة، ويقوم المعوّج، ويذود عن الأمة كيد الخصوم، ومكر الأعداء، وعبث الجهال وسفه المفتونين، فما الأمم العظيمة إلا صناعة حسنة، بإذن الله لنفر من الرجال العظام الموهوبين الموفقين المصلحين المخلصين، فالحاكم العادل، والعالم المتبحّر، والفقيه الضّليع، والواعظ النصوح، والمعلم المخلص، والمحتسب المتفاني، كل هؤلاء من رجالا الدعوة إلى الله، رجل الدعوة له من صفات الشمول كما لدعوته من الشمول في الاعتقاد والعِلْم والفهم والعمل، (صالح ابن حميد، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص١٠).

وفي الاصطلاح هو أن تدعو إلى هذا الدِّين فتنصح الناس بأن يستقيموا عليه وترشدهم وتأمرهم بالمعروف وتنهاهم عن المنكر، فعلى كل مسلم أن يدعو إلى الله حسب طاقته وعلمه وكل واحد -رجل أو امرأة- عليه قسط من هذا الواجب من التبليغ والدعوة والإرشاد والنصيحة، وأن يدعو إلى توحيد الله، وإلى جميع الخير مثل الصلاة والمحافظة عليها، والزكاة وأدائها، وصوم رمضان، وحج البيت مع الاستطاعة، وإلى بر الوالدين، وصلة الأرحام، وترك المعاصي كلها، (عبدالعزيز ابن باز، ١٤١٨هـ، ص٢٤)، إلى جانب أن موضوع الدعوة الإسلامية هو الرسالة الخاتمة التي نزلت من عند الله بطريق الوحي على محمد ﷺ في كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقط تكفل الله بحفظها وحفظ كتابه، وأرسل بها محمداً ﷺ إلى الناس أجمعين ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد. فهي رسالة الله في الأرض ودينه للناس أجمعين إلى يوم أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهي الأسلوب الأمثل والمنهج

Prince of Songkla University Pattani Campus

الأكمل الذي اختاره الله لخلقه للفوز بسعادة الدارين، وهي خاتم الرسالات السابقة وجامعة لوصايا الأنبياء والمرسلين من لدن آدم إلى محمد ﷺ، (توفيق الواعي، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م، ص١٥).

يقول سيِّد القطب رحمه الله "إن الدعوة دعوة إلى سبيل الله، لا لشخص الداعي ولا لقومه، فليس للداعي من دعوته إلاَّ أنه يؤدي واجبه لله، لا فضل له يتحدث به، لا على الدعوة، ولا على من يهتدون به، وأجره بعد ذلك على الله"، (سيد قطب، الظلال، ٢٢٠٢/٤. عبدالحميد البلالي، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٣٤).

وهو دعوة إلى القيم والمثل التي تحملها رسالة الله، والتي هي السلام للانسانية، وهو إيمان بهذه القيم والمثل، يحمل على العمل طبقاً لها في السلوك، حتى يكون العمل ترجمة له وتعبيراً عنه، وهو استمرار في هذه الدعوة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَان: الآيَةُ ١٠٤]، لأن الطبيعة البشرية في شأنها تتردد بين الغريزة والعقل، وبين الهوى والحكمة، وبين الشر والخير، وهي بحاجة مستمرة إلى داعٍ وإلى توجيه نحو المستوى الفاضل في الإنسانية، (محمد البهي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص٣٠٩).

٤،٢- توضيح أهمية الدعوة الإسلامية وأهدافها

فأدب الدعوة هو العمل على إنقاذ النفوس من وادي الغواية والإقبال بها إلى مطالع السعادة وهو مسْلك وعرٌ لا يمر فيه على استقامة؛ إلا من بلغ في صناعة البيان أمداً قاصياً، ولا يكفي في الدعوة أن يكون في يد القائم بها حجةٌ، أو موعظة، يُلقيها في أي صورة شاء، فإن المخاطبين يختلفون ذوقاً وثقافة اختلاف الزمن والبيئة، ومن اللائق أن تصاغ دعوة كل طائفة في أدب يليق بأذواقها أو ثقافتها، الخبرة بما للطوائف من أحوال نفسية، وإلقاء الدعوة في الثوب الملائم لهذه الأحوال: موكول إلى الداعي ورسوخه في فنون البلاغة وأدب اللسان، (محمد الخضر حسين، ١٤١٧هـ، ص٧١).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وعند تردد العبارة "الداعية" فإن أول صورة تخطر في الذهن عند سماع هذه الكلمة، نشرالإسلام في دُوَل لا تدين بالإسلام، أما الفكرة التي تليها لماذا لانبدأ بأنفسنا؟ إن الهدف من نشر الإسلام والدعوة إليه ليس لكثرة من يقولون إننا مسلمون وإنما الهدف منه هو إدخال الإيمان إلى قلوبهم وبيان مفهوم كل ما تحتويه هذه الكلمة من معنى، فبعد ما رأيت من حولي وأنا في دولة مسلمة ما أصبح عليه أبناؤها من انحدار في المستوى الأخلاقي، أصبحت لا أفرق بين المسلم وغير المسلم، فنجد هذه الحياة التي نعيش أعتقد أن الدول والشعوب التي يطبق عليها مسلمة هي بأشد الحاجة إلى الداعية من غيرها، وأتمنى لهذه الكلمات لأثر الذي نقد أبناءنا من هذه الحياة الزائفة، لكن هذا لا يلغي الدعوة خارج بلاد الإسلام فهذا ماقام به الصحابة، وما أمر الله به رسوله ﷺ حين انشغل عن عبدالله بن أم مكتوم بدعوة كفار قريش إلى الإسلام، فقد نزلت الآيَةُ الكريمة تبين أن المسلم أولى بالدعوة من الكافر في قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴾ [سُورَةُ عَبَسَ: الآيَةُ ١ -٢] (مجلة الفرقان، ٢٠٠٤م، العدد٣١٠، ص٣٨).

ومن هنا كان الاستمرار في الدعوة إلى الحق، وإلى القيم العليا أمراً واجباً، ووجوبه ليس على أناس معينين، إنما على فريق دائر بين الأفراد، من قام به سقط عن الباقين، والذي يقوم بهذا الواجب هو من هيأه استعداده الفطري إلى الإيمان، وإلى اتباع القيم الإنسانية، وإلى الميل إلى تحمل المشقة في سبيل الخير العام وإقرار الحق في ذاته، وحركة التاريخ البشري ليست أفقية، بل هي حركة دائرية، والحوادث تعيد نفسها، ولكن في أزمنة مختلفة، وبأشخاص آخرين، (محمد البهي، ١٣٩٥هــ-١٩٧٥م، ص٣٠٩).

لذا تجلى لنا تلك أهداف الدعوة السامي؛ إلا إن كان هناك خطأ تعريفي له، فإنه حتماً سيؤدي إلى خطأ في المفهوم، لذا إن تصحيح المفهوم أمر واجب، فهناك الاجتماع التشاوري لقادة دول مجلس التعاون الخليجي، الذي عقد في شهر مايو عام ٢٠٠٥م، كان من أهم بنوده موضوع الإرهاب، وقام باتخاذ قرارات صارمة للتصدي للإرهاب الذي أطل برأسه على منطقة الخليج العربي، وبدأ يفتك في المجتمعات الخليجية

Prince of Songkla University Pattani Campus

المسلمة الآمنة؛ بتوجيه خارجي وتخطيط خبيث وأهداف شيطانية؛ لا هدف لها إلا تدمير تلك المجتمعات، وإشاعة الفوضى والفساد فيها.

لاشك أن كل إنسان مخلص يؤيد مسعى قادة دول الخليج في قطع شأفة الإرهاب وزرع الأمن في البلاد حتى لانصل إلى مرحلة الفوضى والشتات والفتن التي تعصف اليوم بكثير من الدول والمجتمعات حولنا.

ولكن لابد أن نحذر قادتنا من الوقوع في فخ التعريف الفضفاض لمفهوم الأرهاب والانسياق وراء الجهل والتآمر الخارجي في تعريف الإرهاب وتفصيله على حساب أهواء ومقاييس أعداء الأمة الإسلامية، ووصم الأبرياء الذين يدافعون عن بلادهم وأعراضهم بالإرهابيين (مجلة الفرقان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، العدد ٣٠٩، ص٤).

٣،٤- الحفاظ على الهوية الإسلامية والاعتزاز بالانتماء إليها

الاعتزاز برسالة الإسلام، بوصفه عقيدة وشريعة وحضارة ونظام حياة، أودع الله فيه الكمال والشمول والتوازن والوضوح والعمق، وغرس هذا الاعتزاز في ضمائر الجميع صغاراً وكباراً، بحيث لا يزاحمه نظام أو مذهب آخر للحياة، ولا يزاحمه كذلك وطن أو قومية أو نعرة من النعرات، فدين المسلم أغلى ما يعتز به ويحرص عليه، وفي سبيله يضحى بكل ما يغالي به الناس من وطن وأهل، ونفس ونفيس، ورضي الله عن المسلم الأول الذي قال:

أبي الإســلام لا أب لي سواه

إذا افتخــروا بقيس أو تميم

(يوسف القرضاوي، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٤٢).

فقط ظل ﷺ يطرق معهم هذه الجوانب، ويكرر على أصحابه، ومن آمن به ويفتح عيونهم عليها من خلال الكتاب المنظور، والكون المسطور حتى خشعت قلوبهم وسمت أرواحهم وطهرت نفوسهم، ونشأ لديهم تصور وإدراك لحقيقة ومضمون الألوهية، يخالف تصورهم الأولى، وإدراكهم القديم، كما اهتم ﷺ حقيقة المصير وسبيل النجاة لأصحابه موقناً أن من عرف منهم عاقبته، وسبيل النجاة والفوز في هذه العاقبة، سيسعى بكل ما أوتي من قوة ووسيلة لسلوك هذا السبيل، (علي الصلابي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٢١٩).

ويسطر المودودي في بيت شعر قوله:

إذا الإيمان ضـــاع فلا أمَـــان
ولا دُنْيَـــا لِمَنْ لَمْ يحيي دينـــا
ومن رضي الحيـــاة بغير دين
فقد جعل الفنـــاء لها قرينـــا

(أبو الأعلى المودودي، د.ت، ٧).

١،٣،٤- الانتماء والقضية والهوية:

الانتماء يتكون أصلاً من دوائر متداخلة متحركة، تحوي مجموعة من العوامل التي تتباعد كلما ابتعدنا عن مركز ما، جغرافي، روحي أو بيولوجي (عائلي) ...إلخ، ليشكل تجمعاً متناسقاً اجتماعياً اقتصادياً ما في حقبة تاريخية معينة، نبدأ بالانتماء الجغرافي، و حدود السكن، فلكل مِنّا مدينة أو قرية يسكنها وحي وشارع ومترل وبيت، فإذا كان بيتي في شارع في مدينة معينة يعني انتمائي إلى هذه المدينة وهذا الشارع، الذي بدوره حتماً سيكون في دولة أو بقعة جغرافية ما، (محمد ذوق، ٢٠٠٦م).

Prince of Songkla University Pattani Campus

والانتماء الروحي لأي فرد من الأفراد يكون بالإيمان بدين أو فكرة – هذه الفكرة التي تسكن وجدانه وتحيط بحياته وتصرفاته وطريقته في التعامل في المحيط الذي ينتمي إليه أو يحتك به، والانتماء الروحي للناس يتألف من ألوان طيف متقاربة ومتباعدة، كنقطة نور وانتشار هذا النور في الفضاء، هكذا يكون الانتماء الروحي للناس، فكثير من المسلمين يختلفون في بعض معتقداتهم و يتشاركون في قواسم مشتركة بينهم وبين المسيحيين واليهود، ويسمون هذا القاسم المشترك الدِّين السماوي. وهذا النور الذي يسميه الناس الدِّين يشترك فيه أيضاً كل الأديان الأخرى له نقطة ارتكاز خارج حدود الجغرافيا فمصدره الغيب والسماء ومسكنه قلوب البشر وعقولهم وأفئدتهم، (محمد ذوق، ٢٠٠٦م).

٢،٣،٤– الانتماء اللغوي الثقافي المعرفي:

Prince of Songkla University Pattani Campus

والايمان يتكون أصلاً من مجموعة أفكار، مما يعني انتماءه أصلاً إلى لغة ما؛ لأن الوجدان الانساني والفكر والعقل لابد له من لغة يتكون منها. لذا يستند الدِّين إلى ثقافة معينة، ولغة محددة تبين للناس الفكر وتوحدهم في ألفاظ مشتركة ودلالات متقاربة، صلاة–قربان–أدم–نوح–جمع–حياة–موت–قبول–رفض، لذلك فإن الاختلاف اللغوي (باللهجة أو النطق) لأمر معروف ومشترك، لا يمكن أن يشكل عاملاً سلبياً في بناء الحضارة الإنسانية إلا إذا كان مشروعاً تقسيمياً الهدف منه التقوقع ونبذ الآخر. أما الانتماء العائلي، البيولجي (بيئو–لو–ذي)، فجموع الناس تتكون من عائلات، أب وأم وأخوة وانسباء، ونرى الكثير من الشعوب التي ما زالت تعتمد على هذا التقسيم لتحدد موقعها بين الناس، ولكننا بعودتنا إلى بداية تكون الإنسان نرى أنه يعود إلى رجل واحد وامرأة واحدة، (محمد ذوق، ٢٠٠٦م).

إذا بالرغم من أن الإنسان ينتمي إلى عائلة و عشيرة إلا أن ذلك يجب أن لا يكون سبيلاً إلى التفرقة و التمييز، بل لابد لنا من الإيمان أننا ننتمي جميعاً إلى عائلة واحدة بالنهاية، فيكون هذا الانتماء حلقة في سلسلة تجمع كل الناس، فكلنا بني آدم. وهذا النوع من الانتماء (العائلي) الكلي هو الانتماء الثابت الذي لا يتغير، إن الانتماء (الجغرافي – الروحي– الثقافي) وإن كان متحركاً بنظر البعض إلا أن تحركه يحتاج إلى أجيال وعقود وهجرات وتغيير في المنطلقات والثوابت، مما يجعله ثابتاً إلى حد ما في حياة الفرد القصيرة وشبه ثابت في حياة المجموعات البشرية التي قد تمتد لآلاف السنين، ولا يتغير إلا في حالات الهجرة والانتقال. (محمد ذوق، ٢٠٠٦م).

بالإضافة إلى هذا الإنتماء، يتكون عند الانسان انتماءات متعددة كالانتماء إلى عدد من الجمعيات والنوادي والتيارات الفكرية أوالاقتصادية ولكل منها مركز ومحيط ولكن جميع الدوائر هذه متداخلة فيما بينها. كل ما تقدم من انتماء للناس يتمحور حول نقطة ارتكاز محددة تحدد إنتماء الفرد إلى مجموعة ما تعتبر ثابتة إلى حد ما، إلا أن الانتماء الاقتصادي الذي لا يتمحور إلا على نقطة ارتكاز اجتماعية – اقتصادية متحولة أو متغيرة أصلا بشكل سريع لذلك لم تتمكن الحركة الشيوعية العالمية من تأصيل الانتماء لجميع شعوب أوروبة وآسيا وغيرها في هذه الحركة، لأنها اعتمدت الانتماء على أساس إقتصادي متغير أصلاً، والوحدة الاوروبية سيكون لها المصير عينه إن لم تتجاوز هذه الوحدة الاقتصادية إلى وحدة مركزية في دولة موحدة جغرافياً ولغوياً وفكرياً وثقافياً تخضع لقانون واحد ودستور موحد، فاللغة هي من أهم عوامل الاجتماع والتفرق لأنها الأداة التي يتكون منها العقل الاجتماعي لدى الناس، (محمد ذوق، ٢٠٠٦م).

فعلى أساس الانتماء الاقتصادي تأسست عبر العصور العديد من الامبرطوريات التي ما لبثت أن اضمحلت وزالت، وعلى أساس الانتماء الدِّيني الثقافي تأسست عبر العصور العديد من الامبرطوريات التي صمدت لوقت أطول- ولا تزال موجودة في أذهان الناس وعقولهم، فجمعت في بقعة جغرافية معينة أوفي حيز فكري،

ما سمي بشعب هذه الامبرطورية وبسطت عليها سلطتها الاقتصادية والدِّينية، ولكن ضمن حدود هذه الدول الجغرافية بقي العديد من الجماعات التي لم تنخرط في هذا الدِّين، و لم تستطع هذه الدولة الدِّينية ان تجمع كل من كان على أرضها إلا على انتماء واحد وهو أنهم جميعهم أبناء هذه الدولة ومواطنيها يخضعون لحكم هذه الدولة وقانونها مهما كان شكل هذا القانون ولونه، هذا القانون الذي لابد أنه قد وضع بلغة ما، وكان في النهاية ما يميزهم عن كل ما حوته هذه الدولة من ممتلكات وأراض ومباني ومقتنيات بأنهم أبناء آدم يشتركون مع كل البشر المتواجدون على أرض هذه الدولة بالإنسانية.

وخلاصة ذلك أن الانتماء إن كان جغرافيا، أو دينياً أو ثقافياً، فإن الانتماء الثابت فيه هو الانتماء العائلي – لآدم، والانتماء الثقافي الايماني بخالق واحد لهذا الكون، لكنه يحتاج في النهاية إلى انتماء اقتصادي اجتماعي ما يؤمن لمن ينتمون لهذه المجموعات إمكانية الإستمرار كما يحتاج إلى قانون – يحكم علاقة الناس بعضهم مع بعض وعلاقتهم بالدولة ويساوي بين مواطنيها، (محمد ذوق، ٢٠٠٦م).[٦٠]

٣،٣،٤– الثبات على الحق

الثبات على المبدأ والتمسك بالحق والذود عنه، فضيلة من الفضائل وسمة أصيلة من سمات المسلم، وذلك مدح له وإشادة بموقفه وهذا لا يجعله في مصاف المتطرفين.. فالتطرف شيء، والتمسك بالحق شيء.. التطرف هو مجاوزة الحد.. والتنطع في الدِّين والتعسف في فهمه والتزام أحكامه.. أما التمسك بالحق والثبات على المبدأ فيعني الالتزام الكامل بآداب الإسلام وأحكامه وتطبيق شرعه ونهجه. ومن مقتضيات التمسك بالحق: إقامة المسلم ما افترض الله عليه والابتعاد عما نهاه الله عنه من محرمات.. والدعوة للإسلام وبيان محاسنه للناس وترغيبهم فيه وحضهم عليه، والوقوف في وجه الباطل بكل أشكاله وألوانه وأنواعه، ومقارعة الطغيان ومقاومة موجات الكفر والإلحاد بكل ما أوتي

[60] http://www.diwanalarab.com/spip.php?article6537.

Prince of Songkla University Pattani Campus

من قوة.. شعاره في ذلك قول رسول الله ﷺ «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد»، (التِّرْمذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٤/٣٦٣).

وإن الأسوة والقدوة في هذا هو رسول الله ﷺ حيث كان قوياً في الحق حينما خرج على قومه بدعوة جديدة ينكروها فصمد للمقاومة وأصر على الدعوة فكانت العاقبة له، وكان قوياً في الحق وثابتاً على المبدأ حينما عرضت عليه المغريات من المال والملك والجاه في مقابل أن يتنازل عن دعوته، فرفضها في إباء وتصميم، وأصر على بلوغ النصر مهما كلفه ذلك من تضحيات.. ولو أدى ذلك إلى أن يهلك دون حقه..

فإنه لما بادأ رسول الله ﷺ قومه بالإسلام وصدع به كما أمره الله ثم ذكر آلهتهم وعابها، خالفوه في ذلك وناصبوه العداء، فلما رأوا أن عمه أبا طالب يحدب عليه ويذود عنه مشوا إليه وقالوا: إنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا. حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.. فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه، عند ذلك بعث أبوطالب إلى رسول الله ﷺ فقال له: يا ابن أخي إن قومك قد جاؤوني فقالوا لي كذا وكذا، فأبق عليّ وعلى نفسك ولا تحمّلني من الأمر ما لا أطيق، فظن رسول الله أن عمه خاذله ومسلمه، وأنه ضعف عن نصرته والقيام معه، فقال لأبي طالب: "يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته..! ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكي ثم قام.. فلما انصرف ناداه أبوطالب فقال: أقبل يا ابن أخي.. فلما أقبل قال له: "اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيء أبداً!!

إنه الثبات على العقيدة، والتمسك بالحق الذي هو عليه، ولن يتخلى عن ذلك حتى لو بقي في الميدان وحده، حتى لو كانت الدنيا كلها في وجهه، ولقد أدى ذلك إلى تعرض رسول الله ﷺ والمؤمنين معه لسنين عجاف وأيام قاسية وعذاب متواصل، فما

زادهم ذلك إلا صلابة في الحق وثباتاً عليه، حتى صاغت منهم هذه الأحداث أبطالاً وصنعت منهم قادة ورجالاً، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، ص٣٦ -٣٧).

لقد تعرض رسول الله ﷺ للمقاطعة التي استمرت عدة سنوات حتى كان أهله وأصحابه يأكلون ورق الشجر!!، ولكن ذلك لم يضعف قوة إيمانهم ولم يفتّ من عضدهم، بل زادهم استبصاراً بالحق الذي هم عليه، وأخيراً فشلت المقاطعة وانتصر الحق.

إن بعض الناس بدأوا بالحديث عن مفاهيم مغلوطة، ففي نظرهم أن من تمسك بأوامر الإسلام وأتى بأدابه في لباسه وهيئته وعاداته ومسلك حياته ودعا الآخرين إليه فهو متطرف..! فكيف نكون مسلمين إذن؟! وأصبحت كلمة متطرفين توازي في قاموسهم كلمة مسلمين..! فأين الإسلام إذن؟

والمسلم لا يكون مسلماً حقاً حتى يستسلم وينقاد لله في كل شؤونه وأمور حياته، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ ٦٥] ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ ﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ: الآيَةُ ٥٤] إن إسلامي يأمرني أن أقيم الصلاة وأخرج زكاة مالي وأصوم رمضان.. وأن أنكر المنكر وأسدي النصيحة في دين الله للآخرين.. وأن آمر أهلي بالصلاة والصبر عليها وأن أدعو أسرتي للالتزام بأحكام الله والستر والحشمة والعفاف، إنقاذاً لهم من النار ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [سُورَةُ التَّحْرِيمِ: الآيَةُ ٦] فكيف يكون متطرفاً من استجاب لأمر الله وعمل بما دعاه إليه الدِّين؟! أم أن كلمة التطرف قد أصبحت غطاء وواجهة للتحذير من التدين والتمسك بآداب الإسلام؟! ويجب أن لا يغيب عن البال أننا حينما نتحدث عن التَدَيُّن فإنما نقصد التدين الصحيح المستقى من المنبع الصافي، كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.. وفي هذين العصمة من الزلل والحفظ من الأخطاء، وطالما أننا متمسكون بهما فلن تضيرنا الألقاب والتسميات والاتهامات؛ لأننا على الحق وعلى المحجة البيضاء والصراط المستقيم،

Prince of Songkla University Pattani Campus

كما قال ﷺ: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنتي" (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٣٦- ٣٨).

٤،٤- السلوك والأخلاق

لقد اهتم الإسلام بقضية الأخلاق فنظم سلوك الإنسان وعلاقته بغيره، قال ﷺ: " إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق " (البُخَارِي، كتاب الأدب)، وفي رواية أخرى " لأتمم مكارم الأخلاق "، وقد حث صحابته رضوان الله عليهم أجمعين ليكونوا المثل الأعلى في السلوك السليم والطبع القويم، برهان ذلك ما ورد عن رَسُول الله ﷺ في حديث عبدالله بن عمرو: " إن خياركم أحسنكم أخلاقاً " (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٢٢٤٥/٥)، وفي رواية: " إنَّ مِنْ أحبِّكم إليَّ أحسنُكم أخلاقاً "، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١٣٧٢/٣)، وحين مدح الله رَسُوله لم يمدحه بحسبه أو نسبه، وإنما بخلقه العظيم فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سُورَةُ القَلَم: الآيَةُ ٤]، وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "ماخُيِّر رَسُول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رَسُول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمةُ الله، فينتقمُ لله بها"[61] (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، ١٣٠٦/٣)، قال البيهقي رحمه الله: "ومعنى حسن الخلق: سلامة النفس نحو الأرفق الأحمد من الأفعال، وقد يكون ذلك في ذات الله تَعَالى وقد يكون فيما بين الناس"، ومما يقتبس من مشكاة القرآن الكريم قوله تَعَالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سُورَةُ الأَعْرَاف: الآيَةُ ١٩٩]، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم" (التِّرمِذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٤٥٧/٣)، وقال ﷺ: "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به

[61] وهو حديث متفق عليه.

Prince of Songkla University Pattani Campus

درجة صاحب الصوم والصلاة" (التِّرْمذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٣٦٣/٤). وليس من حسن الخلق السكوت إذا انتهكت محارم الله، بدليل غضبه ﷺ عندما كلّمه أسامة بن زيد شافعاً في حدّ من حدود الله، وفي فضل حسن الخلق ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رَسُول الله يقول: "إن المؤمن ليدركُ بحسن خلقه درجة الصائم القائم" (أبو داود، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م: ١٤٩/٥)، وصح عن النواس بن سمعان ﷺ قال: سألت رَسُول الله ﷺ عن البر والإثم فقال: "البر حُسن الخُلق، والإثم ما حاك في نفسك، وكرهت أن يطلع عليه الناس" (مسلم، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م: ١١١/١٦)، (عبدالرحمن العبيد، ١٤١٤هـ، ص٥١٢ -٥١٣).

لذا ينبغي أن يكون أخلاق الداعية أخلاقاً إسلامية حسنة، ومسالكه مسالك حميدة طيبة، فبالأخلاق الجميلة، والأفعال الطيبة يمكن للداعية أن يؤثر في الناس، ويتقبلوا دعوته، لأن الناس ينقادون إلى السهل، ويبتعدون عن الوعر، (عبدالرحيم المغذوي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص١٢٤). وقد استطاع المجتمع الإسلامي رغم الانحرافات العقدية التي ظهرت في بعض أرجائه أن يحافظ خلال حقب تاريخية ممتدة عبر القرون على كثير من الفضائل والقيم الخلقية، مثل الصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والعدل، والرحمة، والبر، والإحسان، والغيرة على العرض، الأمر الذي جعل المجتمعات الإسلامية متفوّقة خُلقياً على المجتمعات الكافرة، وما أن وطئت أقدام المستعمرين بلاد المسلمين، حتى أيقنوا أن لا قرار لهم فيها إلا بكسر الحواجز النفسية بينهم وبين المسلمين، ولا يتم ذلك إلا بتحطيم القيم الخلقية التي يتمتع بها المسلمون ويتميزون، ولذلك بذلوا ما وسعهم الجهد والمال لنشر موبقات الحضارة الغربية وقاذوراتها بكل الوسائل والأساليب في أوصال المجتمعات الإسلامية مستهدفين من ذلك تحقيق أمرين أساسيين: أولهما: إنشاء جيل متجانس لهم في فكرهم وثقافتهم ليسهل عليهم الاتصال والتفاهم مع المجتمع عن طريقهم. والثاني: أن تخلوا الأجيال الإسلامية الناشئة من الدِّين والخلق الإسلامي فإن من الخطط التي يستخدمها أعداء الإسلام لتحويل المسلمين عن

Prince of Songkla University Pattani Campus

دينهم وأخلاقهم "خطة التفريغ والملء". (عبدالرحمن الميداني، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، ص٢٠٧).

لذا فإن الحفاظ على القيم الأخلاقية مطلوب لدى الجميع بما فيه من الخصال الحميدة، وكذا الأخلاق يجب أن تنبع أيضاً في منسوبي التعليم، فهذه بعض الصفات المرغوبة لمن وجد في نفسه الميل لمهنة التعليم وأعد نفسه للتدريس هي كالآتي:

١-أن يكون ذا شخصية قوية ونفوذ كبير؛ كي يستطيع أن يملك قلوب تلاميذه، ويستهوى أفئدتهم.

٢-يجب أن يكون محباً للطلبة بطبيعته، يعطف عليهم، ويقوى ضعيفهم، ويشجع قويهم؛ بحيث يكون أباً شفيقاً قبل أن يكون مدرساً.

٣-أن يكون عالماً بطبائع الطلبة، وغرائزهم، وعاداتهم، وميولهم، وأذواقهم، وتفكيرهم؛ كي لا يضل في تعليمهم.

٤-أن يعتقد أن التعليم وسيلة كبيرة لتحسين المجتمع من كل الوجوه، ويفكر في المجتمع وما يتطلبه حتى تكون المدرسة متصلة بالحياة.

٥-أن يعامل جميع تلاميذه معاملة واحدة، ويعدل بينهم، ويحسن الصلة بهم، فلا يفرق بين ابن الغنى وابن الفقير، ولا ينظر إلى من يتعلمون بالمجان نظرة احتقار، لا لسبب إلا أنهم فقراء، كما يفعل بعض المدرسين.

٦-أن يخلص لتلاميذه، ويحافظ على أوقاتهم، ويفكر دائماً في النهوض بهم، ويشعر بأنهم ذخيرة الشعب في المستقبل.

٧-أن يتصل بالحياة والعالم كل الاتصال؛ لكي يمكنه تزويد تلاميذه بما يشاؤن من ثقافة وأدب، وعلم واختراع.

٨-أن يكون محباً للعلم، واسع الاطلاع، غزير المادة، منظم التفكير، حسن الاختيار؛ لينهض بتلاميذه، ولا يخبط خبطة عشواء.

Prince of Songkla University Pattani Campus

٩-أن يحسن التدبير والإدارة، والتصرف، ويكون حكيماً حازماً فيما يقول وما يفعل؛ يلين في غير ضعف، ويشتد في غير عنف، يقوم بالواجب في الوقت الملائم، وبالطريقة الملائمة، ويقف دائماً مواقف مشرفة.

١٠-أن يعمل بروح التربية الحديثة: من التعاون، والحرية المنظمة، والتشويق، والعمل برغبة، والجمع بين الناحيتين: العلمية والعملية، والتضحية بكل شيء في سبيل تربية الطفل تربية استقلالية حقة.

١١-أن يكون قوى العزيمة، محافظاً على مبدئه، لا يأمر اليوم بشيء ثم ينقضه غداً، ولا يطالب التلاميذ بالمحال، ولا يتهاون في تنفيذ ما يأمرهم به.

١٢-أن يكون سليم السمع، قوى البصر، معتدل الصوت، خالياً من الأمراض والعاهات الجسمية.

ونزيد على ما تقدم من الصفات الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية:

١٣-أن يكون نشيطاً شجاعاً، حاضر البديهة، سديد الحكم، قوى الملاحظة، واضح الخيال، يفكر دائماً في الطرق المؤدية لنجاحه في عمله.

١٤-أن يكون ذا كرامة يربأ بنفسه عن الدنايا، ويستنكف من القبيح؛ حتى يكون مرفوع الرأس، وموضع التبجيل والاحترام.

١٥-أن يكون راجح الحلم، رحب الصدر، كثير الصبر، قادراً على ضبط شعوره ونفسه؛ لا يتأثر لأتفه الأسباب، ولا يغضب لأقل شيء.

١٦-أن يكون فصيحاً قادراً على التعبير والتوضيح والتفسير. ولا نبالغ إذا قلنا يجب أن يكون خطيباً مفرّهاً، يصل إلى قلوب تلاميذه، ويؤثر في نفوسهم.

١٧-أن يعطى التلميذ الفرصة في القيام بالعمل بنفسه، وبالتجارب في كل مادة من المواد. هذا إذا أراد أن يكون التعليم مثمراً منتجاً؛ فأحسن الطرق في التربية لا تثمر إلا إذا اشترك التلميذ في العمل، وقام بالتفكير والحل، في حين أن المدرس يفتح له السبل، ويُشَوِّقَهُ إلى العمل، ويرشده عند الحاجة إلى الإرشاد. أما المعلمون الذين يقومون للتلاميذ بالحل على السبورة، ويدعوهم ينقلون ما يرون من غير فهم، فإنهم يضرونهم

كثيراً من حيث لا يشعرون؛ لأنهم يقومون بالعمل الذي فرض على غيرهم القيام به (محمد الإبراشي، د.ت، ص٢٢٣- ٢٣٥).

ونذكر هناك إحدى الخصال الحميدة التي تعتبر المؤثر الحقيقي لدى كثير من الناس ألا وهي القدوة الصالحة، فهي من أعظم السلوك والأخلاق التي يتوجب على الدعاة الاقتداء بها؛ كما ذكره موسى الأسود حين قال: فمن أعظم أسباب انتشار الإسلام في كثير من البلدان، القدوة الحسنة والأسوة الصالحة في شخص الداعية، فيكون بحسن تصرفه وجميل خُلُقه وفعْله، كتاباً مفتوحاً يقرأ فيه الناس معاني الإسلام وأخلاقياته، فيتسابقون لاعتناق هذا الدِّين، والتأثر بالسلوك والأفعال أقوى وأبلغ من التأثر بالأقوال. وإذا وجدت القدوة الحسنة التي تمزج القول بالفعل تولدت الثقة والمحبة، والإسلام يبني شخصية المسلم على الصدق والأمانة والاستقامة وأن يوافق باطنه ظاهره، ويطابق فعله وقوله، والدعوة للإسلام يجب أن تكون عقيدة حارة لا حرفة وصناعة ومهنة، وإذا حدث الانفصام بين مسلك الداعية وقوله، أصيبت الدعوة بالصميم وانعكس فقدان الثقة بالداعية على الدعوة نفسها، فيحدث الخلل والبلبلة والاضطراب، لأن الناس سيسمعون قولاً جميلاً ويشهدون فعلاً قبيحاً! ولذلك كان خطاب شعيب عليه السلام لقومه ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [سُورَةُ هُودٍ: الآيَةُ ٨٨]، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٠٨ -٢٠٩).

وقد اعتمدت السيدة خديجة رضي الله عنها في تصديقها لرسول الله ﷺ والإيمان به حينما أخبرها عن أمر الملك بغار حراء، على سيرته الطيبة وأخلاقه العالية التي عُرف بها فقالت له: أبشر والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث، وتحمل الكلّ، وتعين على نوائب الدهر، وحدث أن أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ فقال له: مَنْ أنت؟ قال: أنا محمد بن عبدالله، قال الأعرابي: أأنت الذي يقال عنك أنك كذاب؟! فقال: "أنا الذي يزعموني كذلك!" فقال الأعرابي: ليس هذا الوجه وجه كذاب. ثم قال

Prince of Songkla University Pattani Campus

لرسول الله: ما الذي تدعو إليه؟ فذكر له رسول الله ﷺ ما يدعو إليه من أمور الإسلام، فقال له الأعرابي: "آمنت بك وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله". وقد استدل هذا الأعرابي على صدق رسول الله ﷺ بما يكون عليه حال أهل الصدق والأخلاق الطيبة من السمت الحسن والوجه المشرق المنير.

إن المطابقة بين القول والفعل والعقيدة والسلوك، مطلب أساسي لقبول الدعوة والتأثر بها، وإلا كان الداعية منفّرا ومشوّها للدعوة، إنه يجب أن يستحيل الداعية نفسه تجسيماً واقعياً لما يقول، وترجمة حيّة لما ينطق، عند ذلك تتوافر دواعي القبول، والامتثال والتصديق، وكم من أناس يطلقون العبارات الرنانة والكلمات البراقة، ولكنها لا تلاقي القبول في النفوس، لأنها انطلقت من اللسان و لم يتفاعل معها القلب و لم يحي من أجلها، وكم من أناس آخرين لا يجيدون فن الخطابة والبيان، ولا يطالون ناصية الفصاحة، ولكن كلماتهم الهادئة تشعل القلوب وتهز الأبدان وترقى بالأرواح وتسمو بها، لأنها خرجت من القلب فاستقرت فيه، والكلمات إذا خرجت من اللسان لا تجاوز الآذان، وإذا خرجت من القلب استقرت فيه، فأصبحت شعلة موقدة من الإيمان والحماس والعقيدة. والقرآن الكريم يحذرنا من أن تخالف أفعالنا أقوالنا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [سُورَةُ الصَّف: الآيَةُ ٢-٣]، ويقول النبي ﷺ: ''آية المنافق ثلاث: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان''، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١/٣٣)، وقد امتنع الإمام أحمد رحمه الله من قبول رواية شخص سافر إليه مسافات شاسعة، لأنه وجده يضم ثيابه ويدعو دابته يوهمها بطعام، وحجره فارغ، فتحرج من الرواية عنه وقد رآه يكذب على بغلته!، والقرآن الكريم يحذرنا من صنيع اليهود الذين يخالفون بين الفعل والقول، ويأمرون بالخير ولا يفعلونه ﴿ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ [سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ ٤٤].

Prince of Songkla University Pattani Campus

لا تنه عن خلق وتأتي مثـــله
عار عليك إذا فعلت عظـــيم

(موسى الأسود، ١٤١٧هـــ-١٩٩٦م، ص٢٠٨ - ٢١٠).

جاء رجل إلى ابن عباس فقال: إني أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر، قال: أبلغت ذلك؟ قال: أرجو، قال: إن لم تخش أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل، قال: وما هن؟ قال: قوله ﷻ ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: الآيَةُ ٤٤]، وقـــوله ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سُورَةُ الصَّفِ: الآيَةُ ٣]، وقوله على لسان شعيب ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [سُورَةُ هُودٍ: الآيَةُ ٨٨]، وابن عباس يسأله في كل واحدة: أحْكمت هذه، الرجل يقول لا، فقال له ابن عباس: فابدأ بنفسك!، وقيل إن "مثل العالم الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به، كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه!"، إن السيرة الطيبة والمسلك الحسن دعوة عملية صامتة للإسلام، وتبليغ فعلي سكوتي لرسالته، وذلك يجلب الخير العميم لهذا الدِّين، (موسى الأسود، ١٤١٧هـــ-١٩٩٦م، ص٢٠٨ - ٢١٠).

والشيء الآخر التي يستحسن على الداعي الاقتداء به هو قيام الليل، لأن إحياؤه بطاعة الله ﷻ وعبادته، إحدى سمات المؤمنين، الذين يضحون براحة الجسد ومتعة النوم طلباً لمرضاة الله وطمعاً في ثوابه وشوقاً للقائه ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سُورَةُ السَّجْدَةِ: الآيَةُ ١٦- ١٧].

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: "إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد فنادى بصوت يسمع الخلائق، سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ثم يرجع فينادي: ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهو قليل".

وقد أعد الله لهم من أشكال النعيم وأنواع الكرامة ما لا يتصوره عقل الإنسان، ذلك أنهم أخفوا عملهم وأخلصوا فيه لربهم، فأخفى الله لهم من النعيم المقيم والثواب الكبير ما لم تره عين ولم يخطر على قلب بشر، جزاء وفاقاً، والجزاء من جنس العمل، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٥٤-٥٥)، جاء في الحديث القدسي أن الله تبارك وتعالى يقول: "أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رَأَتْ ولا أذن سمِعَتْ ولا خطر على قلب بشر"، يقول أبوهريرة ﷺ: اقرأوا إن شئتم، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [سُورَةُ السَّجْدَةِ: الآيَةُ ١٧]. (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٣/١١٨٥).

وأخبر صلوات الله عليه أن موسى عليه السلام سأل ربه عز وجل: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجئ بعدما أُدْخِل أهل الجنة الجنة، فيقال له: أدخل الجنة فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟ فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب فيقول: لك ذلك، ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله معه، ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت رب، ثم سأل موسى ربه فقال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر.."، قال: ومصداقه من كتاب الله عز وجل ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [سُورَةُ السَّجْدَةِ: الآيَةُ ١٧]. (مُسْلِم، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م: ٣/٤٥-٤٦).

وصلاة قيام الليل باب كبير من أبواب الخير، ففي حديث معاذ، "ألا أدلُّك على أبواب الخير؟ الصوم جُنَّةٌ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفيء الماء النار، وصلاة الرجل مِنْ جوف الليل، قال ثم تلا ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [سُورَةُ السَّجْدَةِ: الآيَةُ ١٦]"، (التِّرْمِذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٥/١٢)، وهذا وقت مبارك تنزل فيه الرحمات، وتعم فيه البركات والخيرات، ينبغي للمسلم أن يحرص عليه فيشهده،

Prince of Songkla University Pattani Campus

ويقول ﷺ: «يترل ربنا ﷻ إلى سماء الدنيا كل ليلة، حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك مرتين من ذا الذي يدعوني فأستجيب، من الذي يسألني فأعطيه، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر»، (ابن حنبل، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ٩/٢٠٨).

وقد كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه[62] فقالت له السيدة عائشة: لِمَ تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً !!» (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١/٣٨٠)، وقد أمره ربه بإحياء الليل ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾ [سُورَةُ الإِسْرَاءِ: الآيَةُ ٧٩]، وجاء جبريل ﷺ مرة إلى النبي ﷺ فقال: «يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزّه استغناؤه عن الناس»، وقال ﷺ مبيناً فضل قيام الليل وفائدته «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد»، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٥٦).

والإنسان ليس مجرد جسد يأكل ويشرب ويتمتع كما تأكل الأنعام، فالجسد ليس إلا غلافاً من الطين لكائن علوي، يشير إليه قوله تَعَالَى في خلق آدم ﷺ: ﴿ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [سُورَةُ الحِجْرِ: الآيَةُ ٢٩]، وهذا الروح العلوي هو الشيء الذي ميز الإنسان وجعله أهلاً للتكريم، والحل الإسلامي هو الذي يدرك هذه الفطرة الإنسانية، ويقدِّرها حق قدرها، ويهيء لها الغذاء الملائم، والمناخ الصالح، حتى تنمو وتزدهر وتثمر بإذن ربها، ولا يكون ذلك إلا بالعِلْم النافع، والإيمان الصادق، والعبادة الخالصة، والخُلق القويم، فهذه هي أغذية الروح، وهي مميزات الإنسان، (يوسف القرضاوي، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٤٠).

---

[62] تتشقق وتتورم.

Prince of Songkla University Pattani Campus

وعن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: ((ثلاثة يحبهم الله ﷻ رجل أتى قوماً فسألهم بالله، و لم يسألهم بقرابة بينه وبينهم، فمنعوه، فتخلفهم رجل أعقابهم فأعطاه سراً، لا يعلم بعطيته إلا الله ﷻ، والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحب إليهم مما يُعدل به نزلوا فوضعوا رؤسهم، فقام يتلقى ويتلو آياتي، ورجل كان في سرية فلقوا العدو، فانهزموا فأقبل بصدره حتى يقتل أو يفتح له))، (النَّسَائِي، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م: ٣/ ١٦٩)، وكان أحد الصالحين يأتي إلى فراشه بالليل فيتحسسه بيده ويقول: ما ألينك، وما أنعمك، ولكن فراش الجنة ألين منك، ثم يطويه ويقوم يصلى، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٥٤ -٥٦).

وقد رغب رسول الله ﷺ أن يشرك المرء معه أهله في هذا الأجر وهذا الخير، فيوقظهم للصلاة، قال ﷺ: ((رحم الله امرأ قام من الليل فصلّى وأيقظ امرأته، فإن أبت نضح في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت في وجهه الماء))[63] (أبو داود، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م: ٢/١٤٧)، ولا ينتظم الرجل في سلك الصالحين إلا إذا كان له نصيب في هذا العمل فهو شعار الصالحين ودأبهم، قال ﷺ: ((نعم الرجل عبدالله -أي ابن عمر- لو كان يصلي من الليل. فكان بعد لا ينام من الليل إلاّ قليلا))،[64] (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ١/٣٧٨).

وقال عبدالله بن سلام: "أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه، فكنت ممن جاءه فلما تأملت وجهه واستبنته عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال: ((أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)) (التِّرمِذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٤/٦٥٢)، موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٥٤ -٥٦).

يوضح القاضي عياض قوله: "حسن الخُلق مُخَالَقَةُ الناس بالجميل، والبشر، والتودد لهم، والاِشْفَاق عليهم، واحتمالهم، والحمل عنهم، والصبر عليهم في المكاره،

---

[63] ورواه (النَّسَائِي، ١٣٨٣هـ-١٩٦٤م: ٣/ ١٦٩).

[64] ورواه أيضاً (البخاري، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٣/ ١٣٧٢).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وترك الكبر والاستطالة عليهم، ومجانبة الغلظة والمؤاخذة" (عبدالرحمن العبيد، ١٤١٤هـ، ص٥١٧).

و تثبيت القِيَم الأخلاقية الأصيلة التي توارثتها الأمة جيلاً عن جيل، مهتدية بكتاب ربها وسُنَّة نبيها، الذي بعثه الله ليتمم مكارم الأخلاق، وإزالة ما تراكم عليها من رواسب عصور التخلف، وما دخل عليها من تقليد الأمم الأخرى قديماً وحديثاً، فالسخاء والإيثار والعفاف والإحصان والحياء والغيرة، والصبر على المكاره، والثبات في الشدائد، والتعاون على البر والتقوى، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار، وإكرام الضيف، وإغاثة الملهوف، والصدق في القول، والأمانة في العمل، والعدل في الحكم، والشهادة بالحق، ورحمة الصغير، وتوقير الكبير، وإعطاء كل ذي حق حقه، وخفض الجناح، وعزة النفس، والقصد والاعتدال في كل شيء، إلى غير ذلك من فضائلنا الأصيلة يجب أن تسود وتبقى وتعمق جذورها، وتمتد فروعها، كما يجب تطهير المجتمع من الرذائل الدخيلة التي وفدت علينا مع الاستعمار الغربي، والرذائل التي ورثناها من عهود الانحطاط على سواء، من المادية والأنانية واتباع الشهوات، والميوعة والتحلل، وتشبه الرجال بالنساء، وتشبه النساء بالرجال، والاستغراق في متع الحياة الدنيا، ومن الثرثرة الفارغة والفخر الكاذب، والجعجعة بغير طحن، والاستبداد والنفاق والملق الرخيص، وغير ذلك من أخلاق الضعف والسياسة والانحلال، (يوسف القرضاوي، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ص٤١).

وإن الأُمم لتسمو وترتفع مكانتها، وتزدهر حضارتها بقدر ما يتصف به أفرادها من جميل الخلق وحسن الصفات، وتضيع قيمُها وتنحط مبادؤها إذا ضاعت الأخلاقُ الفائلةُ بين أفرادها، (عبدالرحمن العبيد، ١٤١٤هـ، ص٥١٢).

Prince of Songkla University Pattani Campus

٤،٥- ثقافة الداعية

٤،٥،١- الإزدواجية الثقافية والدِّينية:

كان الصراط المستقيم الذي اعتبره المسلمون الأوائل جميعاً أملهم ونبراسهم، سبيلاً مركزياً واحداً ينبع من الرؤية الإسلامية ويشمل كافة أهداف الإنسان ونشاطاته في تدفق واحد مترابط من أجل تحقيق الذات الإسلامية في التاريخ، وخلال عصر التخلف وبسبب فصال الفكر عن العقل انقسم هذا السبيل الواحد إلى فرعين: سبيل الدنيا، وسبيل الله والفضيلة، وانقسام الحياة الإسلامية إلى هذين السبيلين بحيث يتعارض إحدهما مع الآخر على الدوام أدى ذلك إلى أن يفسد كل منهما الآخر، ويقضي على دوره ومعناه. وانتهى الأمر إلى أن يصبح إحدهما جديراً بالإطراء ويشمل القيم الدِّينية، والآخر مشجوباً ويشمل الحياة المادية بكل قيمها، وتغير كل منهما فأصبح الأول روحانية خاوية شبيهة بالروحانية الفارغة كالرهبنة النصرانية وغيرها، فالروحانية التي لا تهتم بمصالح الجماهير التجريبية، والتي لا تعمل على تحقيق العدالة في أرجاء العالم التي تسودها الفوضى والاستغلال يجب أن تكون روحانية انهزامية أنانية، تنزع فقط إلى خدمة المصالح الدِّينية لمن يمارسها، وروحانية مثل هذه تتسم بالأنانية حتى إن دعت إلى خدمة ومحبة الآخرين، لأن اهتمامها الرئيسي ينصب على حالة الوعي لدى الأتباع السالكين، فالآخرون ومصالحهم عبارة عن وسائل وأدوات للاختبار والتطهير والسمو الذاتي، ولا عجب ولا غرابة أن استسلمت مثل هذه الروحانية إلى اغراء المعرفة الروحية والتجربة الغيبية وأصبحت فريسة للخرافات وتجارة المعجزات.

ومن ناحية أخرى أوجد سبيل الدنيا نظاماً خاصاً غير أخلاقي لا يتبع الواجبات الأخلاقية التي اعتبرها ممثلو الدِّين الإسلامي مسعى خاصاً بفئة أخرى من المسلمين، وبدون قيم كامنة في النظـــام ومكونة له فلابد لهذا النظام من أن ينحـــدر" (المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ص٧٠ -٧١).

﴿ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝ رَّسُولاً يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ﴾ [سُورَةُ الطَّــلَاقِ: الآيَةُ ١٠- ١١]، وقال تعــالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سُورَةُ النُّورِ: الآيَةُ ٣٥]، فضرب سبحانه مثلاً لنوره الذي قذفه في قلب المؤمن، كما قال أُبيُّ بن كعب ﷺ: "مثل نوره في قلب عبده المؤمن..." (الطبري، تفسير الطبري: ١٨/١٣٦)، وهو نور القرآن والإيمان الذي أعطاه إياه، كما قال في آخر الآية: ﴿ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ﴾ يعني نور الإيمان على نور القرآن، كما قال بعض السلف: "يكاد المؤمن ينطق بالحكمة وإن لم يسمع فيها بالأثر، فإذ سمع فيها بالأثر كان نوراً على نور".

وقد جمع الله سبحانه بين ذكر هذين النورين –وهما الكتاب والإيمان– في غير موضع من كتابه، كقوله: ﴿ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [سُــورَةُ الشُّــورَى: الآيَةُ ٥٢]، وقوله تعــالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: الآيَةُ ٥٨]، فبفضل الله: الإيمان، ورحمته: القرآن، وقوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [سُورَةُ الأَنْعَامِ: الآيَةُ ١٢٢]، (ابن القيِّم الجوزية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٣٥ -٣٦).

وقال في آية النور: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ﴾، وهو نور القرآن على نور الإيمان، وفي حديث النواس بن سمعان ﷺ عن النبي ﷺ: " إن الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى كنفي الصراط داران لهما أبواب مفتحة، على الأبواب ستور، وداع يدعو على

رأس الصراط، وداع يدعو فوقه، ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [سُورَةُ يُونُسَ: الآيَةُ ٢٥]، والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله، حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه»، (التِّرْمذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ١٤٤/٥)، والإمام أحمد ولفظه: "والداعي على رأس الصراط كتاب الله، والذي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مؤمن" فذكر الأصلين؛ وهما داعي القرآن وداعي الإيمان. وقال حذيفة: "حدثنا رسول الله ﷺ«أن الأمانة نزلَتْ في جَذْرِ قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة »، (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٢٣٨٢/٥)، وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ: «مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر» (البُخَارِي، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٢٠٧٠/٥).

فجعل الناس أربعة أقسام:

الأول: أهل الإيمان والقرآن، وهم خيار الناس.

الثاني: أهل الإيمان الذين لا يقرؤون القرآن، وهم دونهم، فهؤلاء هم السعداء.

والأشقياء قسمان:

إحدهما: من أوتي قرآنا بلا إيمان، فهو منافق.

والثاني: من لا أوتي قرآناً ولا إيماناً.

والمقصود أن القرآن والإيمان هما نور يجعله الله في قلب من يشاء من عباده، وأنهما أصل كل خير في الدنيا والآخرة، وعلمهما أجل العلوم وأفضلهما، بل لا علم في الحقيقة ينفع صاحبه إلاَّ علمهما. ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: الآيَةُ ٢١٣]، (ابن القيِّم الجوزية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٣٥- ٣٦).

وهناك ألوان من العِلْم لابد لمن تصدى لعملية الدعوة أن يلم بها، يوجزها الإمام ابن القيِّم الجوزي فيقول "فينبغي للواعظ أن يكون حافظاً لحديث رَسُول الله، عارفاً بأخبار الزهاد، فقيهاً في دين الله، عالماً بالعربية واللغة، فصيح اللسان، ومدار ذلك كله على تقوى الله ﷻ، وأنه بقدر تقواه يقع كلامه في القلوب" (ابن القيِّم الجوزي، كتاب القصص، ص١٨٠)، ولا يعنى هذا أن من لا يملك هذه العلوم أو جزءاً منها فإنه يتوقف عن الإنكار بل إن الأمر كما ذكره الإمام النووي "يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد، لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكار بل ذلك للعلماء"، (النووي، شرح مسلم، ٢٣/٢)، والأصل في كل هذه العلوم، التقوى والإخلاص، فلعله لا يملك بعض هذه العلوم، فلم يكن فصيحاً أو عالماً بالتواريخ أو بالفقه، لكنه كان تقياً مخلصاً، فإن كلماته تنصب من فمه إلى قلوب المستمعين، وذلك ما أكده ابن الجوزي في موضع آخر حين قال: "ثم يصحح قصده، فإنه إذا صح قصده صرف الله القلوب إليه، (ابن القيِّم، كتاب القصاص، ص١٨٠. عبدالحميد البلالي، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص٤٠).

٤،٥،٢- فضل التَّفقُّه في الدِّين

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَةُ ١٢٢]، ندب تعالى المؤمنين إلى التفقه في الدِّين، وهو تعلمه، وإنذار قومهم إذا رجعوا إليهم، وهو التعليم، وقد اختلف في الآية، فقيل المعنى: أن المؤمنين لم يكونوا لينفروا كلهم للتفقه والتعلم، بل ينبغي أن ينفروا من كل فرقة منهم

Prince of Songkla University Pattani Campus

طائفة، تتفقه تلك الطائفة ثم ترجع تُعلّم القاعدين، فيكون النفير على هذا نفير متعلم، والطائفة تقال على الواحد فما زاد. (ابن القيِّم الجوزية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٤٠).

صلاح القوتين العِلميَّة والعَمليِّة

قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سُورَةُ العَصــْرِ: الآيَةُ ١-٣]، قال الشافعي ﷺ: لو فكر الناس كلهم في هذه السورة لكفتهم. وبيان ذلك أن المراتب أربع، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:

إحداها: معرفة الحق.

الثانية: عمله به.

الثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

الرابعة: صبره على تعلمه، والعمل به، وتعليمه.

فذكر تعالى المراتب في هذه السورة، وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كل أحد في خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذين عرفوا الحق، وصدقوا به، فهذه مرتبة. وعملوا الصالحات، وهم الذين عملوا بما علموه من الحق، فهذه مرتبة أخرى، وتواصوا بالحق، وصى به بعضهم بعضاً، تعلمياً وإرشاداً، فهذه مرتبة ثالثة، وتواصوا بالصبر، صبروا على الحق، ووصى بعضهم بعضاً بالصبر عليه، والثبات، فهذه مرتبة رابعة وهذا نهاية الكمال، فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً في نفسه، مكملاً لغيره، وكماله بإصلاح قوتيه العِلمية والعَملية، فصلاح القوة العِلمية بالإيمان، وصلاح القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميله غيره، وتعليمه إياه، وصبره عليه، وتوصيته بالصبر على العلم والعمل. فهذه السورة على اختصارها هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافياً عن كل ما سواه، شافياً من كل داء، هادياً إلى كل خير. (ابن القيِّم الجوزية، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م، ص٤١- ٤٢).

والقاعدة الأولى التي تبني عليها الحياة هي العلم بالدِّين، والعلم بالضرورة بشئون الحياة ارتقاء بها، ومن يقرأ القرآن الكريم يجده مليئاً بحفز عباد الله على التدبر

Prince of Songkla University Pattani Campus

والتعقل والتفكر في قدرة الله في الخلق وكشف أسرار الكون واستثمارها، والاستمرار في ذلك والمواظبة عليه، والكدح فيه وصولاً إلى تنمية المجتمع والإرتقاء به.

فلابد من أن يقود العلم إلى إعداد القوى البشرية اللازمة للإرتقاء بالحياة في المجتمع وفق تنوع مجالاتها وتعدد مستوياتها، ومن يقرأ آيات الذكر الحكيم التي تحث المسلم على التدبر والتفكر والتيقن وغيرها من مرادفات أعمال الفكر يجدها تأتي في مساقات مختلفة، منها الأنهار والبحار، ومنها الجبال، ومنها الرياح، منها الكواكب والنجوم، ومنها الأشجار والثمار، ومنها الإنسان نفسه، ومنها الدواب والحيوان، ومنها السماوات والأرض، ومنها الشمس والقمر، وغير ذلك من المخلوقات، وهذا بيان باختلاف مجالات العلم والتعلم، وميادين اكتساب الخبرة التي ينبغي أن يتسوعبها المسلم ويستخدمها في الارتقاء بالمجتمع.

ومن يقرأ تاريخ المسلمين يجد أن الصحابة ﷺ كانوا يحفظون عشر آيات من القرآن ولا يحفظون غيرها إلا بعد أن يطبقوا في حياتهم ما حفظوه، وهذا يبين مدى الالتزام بتطبيق العلم.

والقاعدة الثانية التي يعتمد عليها الارتقاء بالحياة في المجتمع إلى جانب العلم هي العمل، ولعلنا نلاحظ أن العمل من العوامل الفارقة بين الدول المتقدمة والدول المتخلفة، ففي الدول المتقدمة نلاحظ اليوم أن ساعات العمل ونظمه ومهاراته وأخلاقياته ومن ثم إنتاجه كماً ونوعاً أفضل منها في الدول المتخلفة، إضافة إلى هذا فإن العمل في الدول المتقدمة يؤسس على علم حديث وتقنية متقدمة، الأمر الذي يجعل إنتاجه تتمتع بالوفرة الكمية والتميز النوعي.

ومن يتدبر على كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ، يجد أن العمل وفق منهج الله قد حظي باهتمام بالغ، فالآيات الكريمة التي تحث على العمل كثيرة، وترغيب الله للعاملين وحفزهم عليه مستمر. (محمود أحمد شوقي، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م، ص٣١٥-٣١٦).

Prince of Songkla University Pattani Campus

وأما ضعف المجتمع الإسلامي في صلته بالإسلام في عهود الضعف الماضية، أو في عهود الركود التي سبقت الوقت الحاضر لم يكن اطلاقاً بسبب مباديء الإسلام، وعدم صلاحيتها للتطبيق في عهد البخار والكهرباء، ثم على عهد الذرة بعد عهد الإبل والصحراء وإنما بسبب ضعف المشتغلين بالإسلام وبالدعوة الإسلامية، وضعف المشتغلين بالإسلام كان بسبب بعدهم عن المصدر الأصيل للإسلام وهو كتاب الله، ووقوفهم عند حد الفكر الذي لا يعرف إلا التبعية والإيمان بها، ولا يعرف إلا العزلة عن حياة المجتمع وعما يجري فيه من أحداث، فنسج لنفسه تفكيراً يقوم على الافتراض أكثر مما يقوم على الواقع، فضعفهم كان بسبب أن حرّموا على أنفسهم، وعلى غيرهم أن يتفقهوا، كما تفقه الأولون؛ لشعورهم بالنقص، وعدم ثقتهم بعقولهم، (محمد البهي، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، ص٣١٨).

٤،٦- مناهج الدعوة في المنطقة

فمناهج الدعوة في المنطقة لا تختلف كثيراً عما هو في بلدان عربية و إسلامية، فالأخطار موجود هنا أو هناك، إلاّ أن الصلاح والتقوى هما العاملان في إزالته، والقرآن نور تسطر تلك المنهج، حيث قال سبحانه في كتابه الكريم ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَة: الآيَةُ ٧١]. إن تعدد الأحزاب الذي أدى إلى اختلاف في المنهج الدعوي لا يعتبر عقبة أمام مسيرتها؛ بل يحتاج إلى توجيه سليم كالمجادلة بالتي هي أحسن، فنود أن ننبه إخواننا الدعاة و نشير إلى حذر من الوقوع في بعض الأخطاء الشائعة والتي لا ينبغي أن يقعوا فيها، ومن تلك المحذورات كما بينه الشيخ أحمد بن النقيب المصري المتوفى سنة ٧٦٩هـ، في كتابه بقوله: "فمنهم ....فرقة....اشتغلوا بعلم الكلام والمجادلة في

الأهواء والرد على المخالفين. ثم هؤلاء طائفتان: ضالة ومحقة، فالضالة التي تدعو إلى غير السنة، والمحقة التي تدعو إلى السنة، والغرور شامل لجميعهم. أما الضالة فاغترارها ظاهر. وأما المحقة فاغترارها من حيث أنها ظنت أن الجدال أهم الأمور، وأفضل القربات في دين الله تعالى، وزعمت أنه لا يتم لأحد دينه ما لم يعبث، وأن من صدق الله ورسوله من غير تحرير دليل، فليس بكامل الإيمان. فلهذا الظن الفاسد قطعوا أعمارهم في تعلم الجدل والبحث عن المقالات، وعميت بصائرهم فلم يلتفتوا إلى القرن الأول، وأن النبي ﷺ شهد لهم بأنهم خير الخلق، وأنهم قد أدركوا كثيراً من البدع والهوى، فلم يجعلوا أعمارهم ودينهم غرضاً للخصومات والمجادلات، ولم يشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم، بل لم يتكلموا فيه إلا لضرورة رد الضلال، فإن رأوا مصراً على بدعته هجروه من غير مماراة ولا جدل، وقد روي في الحديث : ((ما ضل قوم بعد هُدى كانوا عليه إلاّ أوتوا الجدل)) (ابن حنبل، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ٥/٣٠٢)، (أحمد ابن النقيب المصري، د.ت، ص٧٨٢ -٧٨٣).

والكل يحذر من التفرق الناتج من ذلك، لذا يقول الإمام حسن البنّا في الأخوة "وأريد بالأخوة أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة أوثق الروابط وأغلاها، والأخوة أخت الإيمان، والتفرق أخو الكفر، وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر، وأعلاه مرتبة الإيثار ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سُورَةُ الحَشْرِ: الآيَةُ ٩]، والأخ الصادق يرى أخوانه أولى بنفسه من نفسه؛ لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ﴾ [سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَةُ ٧١] وهكذا يجب أن نكون"، (مصطفى الطحان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٢٩١).

Prince of Songkla University Pattani Campus

الدعوة للمعروف بالمعروف

وظيفة الرقابة على مواطن الخلل والانحراف، والنقد الاجتماعي وحراسة الرأي العام للأمة لا يعفى منها إنسان، فالجميع مطالب بها مدعو لممارستها، كل حسب طاقته موقعه وإيمانه، وإلا وقع المكروه، وحلّ العبث، واستشرى الفساد، وقد كان رسول الله ﷺ يبايع أصحابه ويعاهدهم "على أن يقولوا بالحق أينما كانوا، لا تأخذهم في الله لومة لائم" ومن حق الفرد أن يراقب المجتمع، ومن حق المجتمع أن يراقب الفرد، ويقوّم الانحراف والاعوجاج، ويصلح المنكر والفساد، فإذا قصّر طرف أو تنصّل من المسؤولية، كان ذلك نذيراً بالهلاك وإيذاناً بالزوال، وعلامة على منع استجابة الدعاء وقبول الأعمال. خطب رسول الله ﷺ بأصحابه يوماً فقال: ((يا أيها الناس، إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا أعطيكم، وتستنصروني فلا أنصركم)) وقال أيضاً: ((والذي نفسي بيده لتأمرنّ بالمعرُوف ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً منه، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم))، (التِّرمِذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٤/٤٦٨)، ومنابذة أهل الشر وتحجيمهم في المجتمع، ومحاصرتهم حتى لا تنتقل العدوى للآخرين؛ مطلب هام في عملية الإصلاح، وهذه المقاطعة نوع من العقوبة الزاجرة التي يظهر أثرها في المجتمع حينما تحاصر النار فلا يتطاير الشرر، قال رسول الله ﷺ: ((لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [سُورَةُ المَائِدَة: الآيَةُ ٧٨]، فجلس رسول الله ﷺ -وكان متكئاً- فقال: ((لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم[65] على الحق أطْراً))، (التِّرمِذي، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م: ٥/٢٥٢).

---

[65] تلزموهم وتكرهوهم.

وإذا طغت موجات الشر، وعمّت تيارات الفساد و لم يكن تغيير، وإيقاف لزحف جيوش المنكر، نزل البلاء من السماء، والبلاء يعمّ، والرحمة تخص!! تقول أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: "اســتيقظ النبي ﷺ من النوم محمراً وجهه يقول: ((لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرّ قد اقترب، فُتح اليوم من ردْم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلّق بين أصبعيه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: نعم إذا كثر الخبث))[٦٦] (البُخَارِي، ١٤١٤هـــ-١٩٩٣م: ٢٥٨٩/٦)، (موسى الأسود، ١٤١٧هــ-١٩٩٦م، ص٢٠٤ -٢٠٦).

والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الدرع الواقي للمجتمع، يصونه ويحفظه من عوامل التفكّك والانهيار، وإلا دبّت فيه الفوضى واعتراه العبث والاضمحلال. ولا يكون لمن يتصدى للقيام بهذا الواجب تأثير في محيطه إلا إذا كان صادقاً ومخلصاً في دعوته، ملتزماً لأوامر الله قاصداً النصح والاصلاح، لا التشهير والتجريح، كان عمر بن الخطاب ﷺ إذا أراد أن يأمر الناس بشيء أو ينهاهم عنه جمع أهل بيته وقال لهم: أما بعد، فإني سأدعو الناس إلى كذا وكذا، وأنهاهم عن كذا وكذا، وإني أقسم بالله العظيم لا يبلغني عن أحد منكم أنه فعل ما نهيت الناس عنه، أو ترك ما أمرت الناس به إلا نكلت به نكالاً شديداً!! ثم يخرج فيدعو الناس إلى ما يريد، فما يتأخر أحد عن السمع والطاعة!! وقد كان من سيرة السلف الصالح رضوان الله عليهم أنهم يتحينون الفرص المناسبة لتقديم النصح والموعظة للحاكم أو الوالي، فكان لا يتقاعس عن الاستجابة لنصحهم وإرشادهم، لأنهم إنما أرادوا بذلك وجه الله، ولا يبغون مالاً وعرضاً زائلاً. دخل عطاء بن أبي رباح على عبدالملك بن مروان وهو بمكة فقال له: "يا أبا محمد ما حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين، اتق الله في حرم الله وحرم رسوله، فتعاهده بالعمارة، واتق الله في أولاد المهاجرين والأنصار فإنك بهم جلست هذا المجلس، واتق الله في أهل الثغور فإنهم حصن المسلمين، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسؤول عنهم، واتق الله فيمن على بابك فلا تغفل عنهم، ولا تغلق بابك دونهم..! فقال: أجل -أفعل!! ثم نهض فقام فقبض

---

[66] الفسق والمنكر.

عليه عبدالملك فقال: يا أبا محمد إنما سألتنا حاجة لغيرك وقد قضيناها، فما حاجتك أنت؟ فقال: ما لي إلى مخلوق حاجة! ثم خرج، فقال عبدالملك لمن حوله: هذا وأبيك الشرف!!

ومن أجمل الصفات التي ينبغي لمن يتصدى للنصح وتغيير المنكر والدعوة للخير أن يتحلى بها: أن يكون حكيماً لطيفاً رفيقاً يتحاشى عبارات التقريع والكلمات القاسية الجارحة، فلا يلجأ إلى العنف في مقام يغني في اللطف، وكم من مواقف استعمل فيها أناس أسلوب العنف والغلظة والقسوة فكان من نتائجها أن حالت بين الناس وبين الاستجابة وقبول النصيحة، والسبب هو الأسلوب -غير الحكيم- الذي سلكه الداعي، بعض المواقف تنفع فيها الملاطفة، فلماذا نأتيها بأسلوب المجابهة؟! في الحديث الشريف "من أمر بمعروف فليكن بمعروف". وفي الصحيح أنه ﷺ قال: "إن الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانه، ولا يُنْزِعُ من شيء إلاّ شانه"، (مُسْلم، ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م: ١٦/١٤٦)، ويقول ﷺ "إن الله رفيق يحب الرِّفق، ويعطي على الرِّفق ما لا يعطي على العُنْفِ، وما لا يعطي على سواه"،[٦٧] (ابن حنبل، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ١/١٤٠)، وقد كان رسول الله ﷺ يسلك في دعوته أسلوب الحكمة، والرحمة والشفقة على الناس لأنه يريد لهم الخير، ومن أراد لهم الخير كان بهم رحيماً وعليهم حانياً وشفوقاً ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَان: الآيَةُ ١٥٩].

جاء غلام شاب إلى النبي ﷺ فقال: يا نبي الله أتأذن لي في الزنى؟ فصاح الناس به، فقال النبي ﷺ: قربوه، ادْنُ، فدنا حتى جلس بين يديه فقال له رسول الله ﷺ: أتحبه لأمك؟ قال: لا، جعلني الله فداك، قال: كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم، أتحبه لابنتك؟! قال: لا، جعلني الله فداك، قال: فكذلك الناس لا يحبونه لبناتهم، وذكر له العمة والخالة، وهو يقول في كل واحد، لا، جعلني الله فداك والنبي ﷺ يقول: كذلك الناس لا يحبونه، ثم وضع الرسول ﷺ يده على صدره وقال: "اللهم طهّر قلبه، واغفر ذنبه، وحصّن

[67] وأيضاً (السندي، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م: ٤/١٩٨).

Prince of Songkla University Pattani Campus

فرجه، فلم يكن شيء أبغض إليه من الزنى". وبمثل هذا الأسلوب الحكيم اللين تؤسر القلوب وتتقبل النصيحة وتنفع فيها الموعظة ويجدي التوجيه. دخل رجل على الخليفة أبي جعفر المنصور فنصحه ووعظه، فأغلظ له القول وعنّفه في الكلام فقال له أبو جعفر: "يا هذا، ارفق بي، لقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني، أرسل الله موسى وهو خير منك، إلى فرعون وهو شراً مني فقال له: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [سُورَةُ طَه: الآيَةُ ٤٤]، (موسى الأسود، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ص٢٠٤ - ٢٠٧).

فأماً ما يحدث الآن من الفتن وما يتمثل في خطف الرهائن والمزيد من الذبح والتمثيل بجثثهم، والمزيد من الرعب والدمار باسم الإسلام، تارة تحت مسمى "الجيش الإسلامي" وتارة "أنصار السنة" وتارة "السلفية الجهادية" كل هذه من المؤامرة الدنيئة يقوم عليها قراصنة ووحوش فقدوا إنسانيتهم وفقدوا عقولهم و لم يجدوا غير الإسلام ليضعوه شعاراً لهم، ولكن الأحداث المتتابعة تكشف حقيقة هؤلاء المرتزقة، فتارة يطلبون الفدية مقابل إطلاق سراح رهائنهم، وتارة يتبين بأنهم غير مسلمين إنما يتوشحون بالإسلام من أجل إتمام جريمتهم، وتارة تتكشف أطراف صهيونية ومخابراتية حاقدة تقف وراء تلك الأحداث من أجل إشعال فتيل العنف والدمار في ديار الإسلام ومن أجل صد الناس عن سبيل الله تعالى، (مجلة الفرقان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٤).

ما أحوجنا اليوم إلى وقفة صارمة يقفها علماء الإسلام وفقهاؤه ودعاته من تلك الأحداث ليقولوا رأيهم الفصل فيما يجري من إجرام وقتل ودمار بِإِسْم هذا الدِّين الحنيف، وليوضحوا الصورة الصادقة النقية لمفهوم الجهاد في الإسلام والفرق بينه وبين ما يجري من فساد وسفك دماء محرمة.

إن المناهج الثورية التي يقف وراءها بعض المسلمين والتي تسعى لتبرير كثير من تلك الجرائم تحت مبررات واهية وتسبغ عليها الصفة الشرعية من الدفاع عن النفس وردة الفعل ضد الظلم والعدوان من أعداء الدِّين وغيرها من المبررات، هذه المناهج الثورية

Prince of Songkla University Pattani Campus

هي التي تعطي هؤلاء المجرمين الصكوك الشرعية لممارسة الظلم والاعتداء على النفس البشرية والإفساد في الأرض، (مجلة الفرقان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٤).

من يقرأ في سيرة الرسول ﷺ يجد بأنه وصحابته الكرام قد عُذبوا أشد العذاب وتسلط عليهم الكفار والمشركون بالقتل ومصادرة الأموال والتعذيب ولكنهم لم يتخذوا الوسائل المنحرفة من أجل التصدي لأعدائهم ونشر دعوتهم وإنما اتبعوا طريق الجهاد والدعوة الصحيحة التي أمر الله تعالى بها ولتلك أثمرت دعوتهم وانتشر دينهم مع حب الناس في جميع بقاع العالم لهم واحترامهم لهذا الدِّين العظيم، دين الرحمة والإنسانية.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [سُورَةُ البَقَرَةِ: الآيَةُ ٢٠٤ -٢٠٥]، (مجلة الفرقان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٤).

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رَسُول الله ﷺ: « أبغض الرِّجال إلى الله الألدُّ الخصم » (ابن حنبل، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م: ١٧/٢٨٠).[68] الرواية الخَصْم -بسكون الصاد-، وقد قيّد بعضُهم بكسرها، وكلاهما اسم للمخاصم، غير أن الذي بالسكون هو مصدرٌ في الأصل، وُضِع موضع الاسم؛ ولذلك يكون في المذكر والمؤنث، والتثنية والجمع بلفظ واحد في الأكثر، ومن العرب من يثنيه ويجمعه؛ لأنه يذهبُ به مذهب الاسم، وقد جاءت اللغتان في كتاب الله تَعَالى، قال الله تَعَالى: ﴿۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ﴾ [سُورَةُ صٓ: الآيَةُ ٢١]، ثم قال: ﴿خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ﴾ [سُورَةُ صٓ: الآيَةُ ٢٢]، فأما الذي بالكسر فهو الشديدُ الخصومة، ويُجمع: خصمٌ، فيقال: خصم، وخصم خصمون، كما قال تَعَالى: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾ [سُورَةُ الزُّخْرُفِ: الآيَةُ ٥٨]، والألدُّ: هو الشديد الخصومة، مأخوذٌ من

[68] رواه (البخاري حديث ٢٤٥٧)، (مسلم حديث ٢٦٦٨)، (التِّرمذي حديث ٢٩٧٦)، (النَّسائي، ٨/٢٤٧).

اللديدَين، وهما جانبا الوادي؛ لأنه كلما أخذ عليه جانبٌ أخذ في جانب آخر، وقيل: لإعماله لديدَيْه، وهما: صفحتا عنقه عند خصومته. وكان حُكم الألد أن يكون تابعاً للخصم؛ لأن الألدَّ صفة، والخصم اسم، لكن لما كان خصمٌ مصدراً في الأصل، وكان الألدُّ صفةً مشهورةً عكس الأمر، فجُعل التابع متبوعاً، وهذا الخصم المبغوض عند الله تَعَالى هو الذي يقصد بخصومته: مدافعةَ الحق، وردّه بالأوجه الفاسدة، والشُّبَه الموهمة، وأشدّ ذلك الخصومة في أصول الدين، كخصومة أكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله، وسُنَّةُ نبيّه ﷺ، وسلف أمته إلى طرق مبتدعة، واصطلاحات مخترعة، وقوانين جدلية، وأمور صناعية، مدارُ أكثرها على مباحث سُوفسطائية، أو مناقشات لفظية تردّ بشبهها على الآخذ فيها شبهٌ ربما يعجز عنها، وشكوك يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدلهم، لا أعلمهم، فكم مِن عالم بفساد الشبهة لا يقوى على حلها! وكم من منفصل عنها لا يدركُ حقيقة علمها!، (القرطبي، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، ٦/٦٨٩-٦٩٠).

وطالب العلم ينبغي أن يكون أنموذجاً للعامة في الاعتدال، والاعتدال هو المنهج الوسط، ومن ذلك: الاعتدال في القول والحكم، وهذا مما أخلّ به كثير من الناس، حتى ينتسبون إلى العلم -هداهم الله- فإن كثيراً منهم لا يعدلون في القول، وأقصد بذلك أن هناك من إذا تكلم في الناس أفراداً وجماعات تكلم بهواه، وإذا تكلم فيمن يعجبه ذكر حسناته وفضائله وترك سيئاته، وإذا تكلم في ما لا يعجبه، لا يرقب فيه إلاًّ ولا ذمة، أي تكلم بسيئاته وبأخطائه ولم يذكر شيئاً من حسناته وفضائله، وهذا مسلك كثُر في كلام كثير من المسلمين سواء كان هذا الكلام في الأشخاص أو في الهيئات أو المؤسسات، أو في ولاة الأمور، أو في المشايخ أو في الجماعات أو في الدعاة، أو في طلاب العلم أو في أفراد الناس، فبعد كثيراً من الناس إذا تكلم بما يحلو لَه وما يعجبه، وترك ما لا يعجبه، وعلى هذا يصدر الحكم الخاطئ الجائر، بناء على هذا التقويم الخاطئ، فالمسلم يجب أن يكف لسانه عن القيل والقال، وأن يعدل إذا قال وإذا تكلم في الناس، وأن يحسن الظن، وأن يبدأ بالثناء، وبذكر حسنات الأشخاص وما فيهم من خصال الخير والاستقامة

Prince of Songkla University Pattani Campus

والنفع، قبل أن يذكر سيئاتهم وأخطائهم إلا إذا كانوا من رؤوس البدع والضلالة فإنهم يحذّر منهم إذا أنت المفسرة، (ناصر العقل، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص٧٧).

وأنّ القصد في سائر الأمور: فمعناه التوسط بين الإفراط والتفريط، وهذا هو حال الأمة المسلمة التي لم تجنح إلى الغلو الذي أفرط فيه النصارى، ولا إلى التقصير والانحراف الذي فرط فيه اليهود. والإعتدال في الأمور العامة: تعني الوسطية، وهي شعار الإسلام في كل شيء، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ ١٤٣]، ومعنى الأمة الوسط: العدول، الخيار حتى يكونوا مؤهلين للشهادة على الأمم يوم القيامة، وهذه الأمة تتوسط زمنياً حيث تفصل بين الأمم السابقة وبين قيام الساعة، وكذلك فإن الكعبة المشرفة التي نتجه إليها في صلاتنا تتوسط الأرض، والمؤمن في سلوكه وسط بين المتساهلين والغالين، وأهل السنة وسط بين الخوارج والروافض، والاقتصاد الإسلامي وسط بين الرأسمالية والشيوعية، والقصد في العمل: يعني التوسط وعدم التشدد أو التساهل. قال القرطبي في تفسيره: "المعنى وكما أن الكعبة وسط الأرض ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ ١٤٣] أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم، والوسط العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها"، وقال أيضاً: "ولما كان الوسط مجانباً للغلو والتقصير كان محموداً، أي: هذه الأمة لم تغل غلو النصارى في أنبيائهم، ولا قصروا تقصير اليهود في أنبيائهم، وفي الحديث: « خير الأمور أوسطها »." (أحكام القرآن، ١٥٤/٢. عبدالرحمن العبيد، ١٤١٤هـ، ص٥٢٩ -٥٣٠).

والداعي يجب أن يكون صادقاً مع نفسه وفي قصده، حيث يقول ابن قيم الجوزية "وأول الصدق صدق القصد، وبه يتلافى كل تفريط، ويتدارك كل فائت، ويعمر كل خراب، وعلامة هذا الصادق أن لا يتحمل داعية تدعو إلى نقض عهد، ولا يصبر على صحبة ضد، ولا يقعد عن الجدّ بحال، وذلك كما العزم، وقوة الإرادة؛ بأن يكن في القلب داعية صادقة إلى السلوك ويحل شديد يقهر السر على صحة التوجه، فهو طلب لا

يمازجه رياء ولا فتور، ولا يكون فيه قسمة بحال، ولا يصح الدخول في شأن السفر إلى الله، والاستعداد للقائه إلا به. (ابن قيم الجوزية، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، ص٦٣٧).

ويضيف على ذلك قوله "وهو حامل على كل سبب ينال به الوصول، وقطع كل سبب يحلو بينه وبينه، فلا يترك فرصة تفوته، وما فاته من الفرص السابقة تداركها بحسب الإماكن، فيصلح من قلبه ما شرفته يد الغفلة_والشهوة، ويعمر منه ما خربته يد البطالة، ويوقد فيه ما أطفأته أَهْوِيَة النفس، ويلم منه ما شعثته يد التفريط والإضاعة، ويسترد منه ما نهبته أكف اللصوص والسرّاق، ويزرع منه ما وجه بوراً من أراضيه، ويقلع ما وجده شوكاً وشبرقاً في نواحيه، ويستفرغ منه ما ملأته مواد الأخلاط الرديئة الفاسدة المترامية به إلى الهلاك والعطب، ويداوي منه الجراحات التي أصابته من عبرات الرياء، ويغسل منه الأوساخ والحوبات التي تراكمت عليه على تقادم الأوقات، حتى لو اطلع عليه لأجزته سوادُهُ، ووسخه الذي صار دباغاً له، فيطهره بالماء البارد من ينابيع الصدق الخالصة من جميع الكذورات، قبل أن يكون طهوره بالجحيم والحميم، فإنه لا يجاور الرحمن قلب دنس بأوساخ الشهوات والرياء أبداً، ولابد من طهوره فاللَّبِيْب يؤثر أسهل الطهورين وأنفعهما، والله المستعان، (ابن قيم الجوزية، ١٤١٢هـ-١٩٩١م، ص٦٣٧).

Prince of Songkla University Pattani Campus